مجلة الدراسات التاريخية
E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707
مجلد 25 العدد 02 ديسمبر 2024 ص-ص 288-311

تفاصيل جديدة عن العلاقة المبكرة بين الأمير عبد القادر وبريطانيا العظمى سنة 1835م عتمادا على رسالتين محفوظتين في الأرشيف الوطني البريطاني.

New details about the early relationship between El Amire Abd el kader and Great Britain in 1835.
Based on two letters preserved in the British National Archives.

د.محمد الأمين بوحلوفة [1]
جامعة غليزان ، Majrit711@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/01/01 تاريخ القبول: 2024/11/23 تاريخ النشر: 2024/12/29

Abstract

This scientific paper attempts to show the first beginning of the diplomatic relationship between Prince Abdul Qadir and Britain, and this is through two letters he sent to the King and the British Consul. The largest global regional actor in the Mediterranean, and the Emir understood Britain's strategy represented in its commercial hegemony over the global economy. That is why the privileges he offered in the exhibition of his letters were commercial, and he avoided military support for him in order to give Britain the idea that he wanted commercial relations that would then pave the way to the option of military support. However, despite this, his project failed

because of Britain's view of the prince that his resistance project was inconsistent with its imperial policy at that time.

المؤلف المرسل: محمد الامين بوحلوفة
Majrit711@gmail.com

Keywords: El Amire Abdul Qadir, Britain, the British Archive, diplomatic relations, the French occupation**.**

الملخص:

تحاول هاته الورقة العلمية إظهار البداية الأولى للعلاقة الدبلوماسية بين الأمير عبد القادر وبريطانيا وهذا من خلال رسالتين كان قد أرسلهما إلى ملك و قنصل بريطانيا، وقد أظهرت تلك الرسالتين عدة أوجه لسياسة الأمير في أولى سنوات دولته، وأعطت صورة مغايرة تماما عن إستراتيجيته الحربية، خاصة وأنّه فهم بشكل أوسع القوى العالمية الإقليمية الفاعلة في المتوسط، كما أنّ الأمير فهم إستراتيجية بريطانيا المتمثلة في هيمنتها التجارية على الإقتصاد العالمي،لهذا كانت الإمتيازات التي عرضها في معرض رسائله تجارية، وقد تحاشى الدعم العسكري له كي يعطي لبريطانيا فكرة بأنه يريد علاقات تجارية ستمهد بعدها إلى خيار الدعم العسكري، لكن رغم ذلك فشل مشروعه بسبب نظرة بريطانيا للأمير على أنّ مشروع مقاومته يتعارض مع سياستها الإمبريالية في تلك الفترة .

الكلمات المفتاحية: الأمير عبد القادر، بريطانيا، الأرشيف البريطاني، العلاقات الدبلوماسية، الإحتلال الفرنسي.

مجلة الدراسات التاريخية
E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707
مجلد 25 العدد 02 ديسمبر 2024 ص-ص 288-311

1. مقدمة:

أول مرة عندما نوّه الباحث عبد الجليل التميمي للوثائق الأرشيفية* التي وقعت بين يديه حول علاقة الأمير عبد القادر بالبريطانيين والتي تعود لسنة 1840م، ظنّ الباحثون أنّ تلك السنة هي بداية التواصل بين الأمير وبريطانيا، الأمر الذي جعل الباحث أبو القاسم سعد الله يرتكز في تحليلاته لمقاومة الأمير على تلك الوثائق ويجعلها السنة المرجعية المؤكدة. لكن في سبعينيات القرن الماضي وفي الوقت الذي أصدر فيه أبو القاسم سعد الله للباحثين رائعته المترجمة" **حياة الأمير عبد القادر**" لهنري تشرشل، ظهرت مقالة لباحث أمريكي هو رافاييل دانزينغر[1] تحت عنوان"**عبد القادر،التواصل الأول مع البريطانيين والأمريكيين (1835-1836)**.في مجلة **المشرق الإسلامي والمتوسط**[2]. وقد ظلت المعلومات التي جاءت في هاته المقالة القيّمة مجهولة لدى الباحثين الجزائريين، بدليل أنّ كل الذين تعرضوا لعلاقة الأمير مع بريطانيا كانوا يشيرون إلى ما ذكره أبو القاسم سعد الله.

بحكم اهتمامي بالعلاقات الجزائرية البريطانية في الفترة العثمانية، وبعد أن بدأت في مشروع بحث حول "علاقة الأمير ببريطانيا"، صادفتني مقالة دانزينغر التي إعتمد فيها على وثائق الأرشيف البريطاني، ولعل الأمر المهم فيها تمثل في التقرير السري الذي أشار إليه في أحد هوامش المقالة الخاص بالقنصل البريطاني في طنجة دراموند هاي، بالإضافة إلى رسالتين[3] أرسلهما الأمير عبد القادر إلى ملك وقنصل بريطانيا وهما محل هاته الدراسة. إنّ المطالع للتقرير وللرسالتين يكتشف دبلوماسية متميزة للأمير عبد القادر خاصة وأنّ تواصله

مع البريطانيين جاء في توقيت مبكر من صراعه مع الفرنسيين، خاصة وأنّ سنة 1835م تميزت بحدثين كبيرين في مقاومة الأمير عبد القادر وهما: معركة المقطع في شهر جوان وسقوط معسكر عاصمة الأمير في ديسمبر من نفس السنة، لهذا مثل التواصل مع البريطانيين مسار جديد في إستراتيجية سياسية ظلت مجهولة في مقاومة الأمير عبد القادر.

إنّ الإشكال المحوري لهاته الدراسة يتمثل في: ما هو فحوى هاتين الرسالتين؟ وما هي الإسترتيجية السياسية والدبلوماسية للأمير التي ظهرت في هاتين الوثيقتين؟ كيف يمكن تبني رؤية جديدة عن الإحتلال الفرنسي في تلك الفترة إعتمادا على ما جاء في الوثيقتين؟ وهل من الممكن اعتبار قضية مقاومة الجزائريين للإحتلال الفرنسي قد أخذت طابعا دوليا أكثر منه محليا في الفترة المبكرة من تأسيس دولة الأمير؟ .

2. بناء أحداث 1835 م، والتواصل مع البريطانيين.

تميز صيف 1835م بأكبر عملية عسكرية قام بها الأمير ضد الجيش الفرنسي بقيادة الجنرال تريزيل، خاصة وأنّ الأخير كان يريد البحث على انتصار معنوي يثبت به كفاءته أمام الحاكم العام الفرنسي ديرليون، فلو عدنا بشهر إلى الوراء (ماي 1835م) سنرى أنّ النص الرحلي الذي قدمه لنا الاسكتلندي توماس كامبل بإعتباره أول رحالة أوربي يزور الأمير في عاصمته معسكر يثبت أنّ عبد القادر كان منشغلا بأخذ ولاء الطاعة من القبائل المجاورة للدخول تحت سلطته".. ولكن لسوء حظي فاتني رؤية بطل معسكر، الذي كان لا يزال منشغلاً في ضمّ بعض القبائل الجنوبية إلى تبعيته"[4]. لكن هذا لم يمنعه من التحضير للعملية الكبيرة التي قام بها في جوان وهي معركة المقطع التي قضى فيها على جيش تريزيل.

كان الردّ الفرنسي على هزيمة المقطع بالتحضير لإسقاط عاصمة الأمير معسكر، وهو ما حدث في ديسمبر من نفس السنة، حيث أخلى الأمير المدينة ولم تجد القوات الفرنسية سوى حفنة من اليهود التعساء الذين بقوا بعد الإخلاء

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707
مجلد 25 العدد 02 ديسمبر 2024 ص-ص 288-311

الشامل[5]. يمكن الخلوص إلى أنّ الفعل وردّ الفعل من الأمير والفرنسيين كان في خضم دبلوماسية مخفية لم يعرف بها الفرنسيون حينها، واقصد بداية التواصل بين الأمير وبريطانيا منذ سبتمبر أو أكتوبر 1835م وهو تاريخ يظهر أن تلك السنة كانت البداية الفعلية لدبلوماسية الأمير الخارجية.

2.2 التواصل مع البريطانيين في جانفي 1836م:

في 11 يناير 1836 م وصل مبعوث عبد القادر محمد بن قلة[6] إلى القنصلية البريطانية في طنجة برسالتين كتبهما عبد القادر في سبتمبر 1835م. كانت إحداهما موجهة إلى القنصل العام البريطاني في المغرب دروموند هاي[7] والأخرى لملك إنجلترا ويليام الرابع (1830-1837 م)[8]. وفقًا لتقرير[9] القنصل تم إيقاف بن قلة في الطريق وهذا للتأكد من أنّ الفرنسيين لن يقوموا بحملة حربية ضد الأمير وهي حملة معسكر، لكن عندما أصبح تسييرها مؤكدا أمر بن قلة بأن ينتظر لغاية إلى ما ستؤول نتيجتها[10]. بعد ذلك ذهب بن قلة إلى تطوان وبعد فترة وجيزة ذهب إلى القنصلية البريطانية في طنجة لإنجاز مهمته.

هنا يجب التوقف عند ملاحظة ذكرها رافييل دانزيغر عندما ذكر أنّ الفرنسيين عل الرغم من تفطنهم ومراقبتهم المستمرة للقنصلية البريطانية في طنجة خوفا من تواصل الأمير مع القنصل، إلا أنّهم لم يتفطنوا لمبعوث الأمير عبد القادر، وهذا بدليل رجوع دانزيغر إلى الرسائل التي أرسلها القنصل الفرنسي إلى باريس حيث قال" قرأت جميع الرسائل المرسلة من القنصل العام الفرنسي في طنجة إلى وزير الشؤون الخارجية في باريس من 1830 إلى 1839م ولم أجد أي إشارة إلى معرفته بذلك "[11] . ويمكن عزو ذلك إلى أوامر عبد القادر الصارمة لمبعوثه بن قلة بأن تكون المهمة سرية جدا، وهو دليل على روح عبد القادر المخابراتية . في النهاية

وصل بن قلة مبعوث عبد القادر إلى القنصلية البريطانية بطنجة وهو متنكر في زيّ فلاح بسيط[12].

في حديث القنصل البريطاني مع بن قلة في 11 يناير 1836م أوضح دراموند هاي أنه مجرد واسطة، وبالتالي لا يمكنه الرد على عبد القادر. وبدلاً من الرد أعطى بن قلة "وصلاً" لعبد القادر أقرّ فيه بتلقي الرسالتين وتعهد بإرسالهما سريعًا إلى الملك[13].

3.2 . قراءة في تفاصيل رسالتي الأمير إلى ملك بريطانيا والقنصل البريطاني بتطوان:

أ/رسالته إلى ملك بريطانيا: بداية يمكن وصف الرسالة بأنها كتبت بخط يصعب قراءته، وهو خط كان يكتب به طلبة القرآن في تلك الفترة، مع التقيد بقواعد الخط المغربي، كذلك جاءت كلمة " **الحمد لله وكفى**"[14] على الجهة اليمنى من الرسالة في الأعلى أما على الجهة اليسرى فكتب " **صلى الله على نبينا ومولانا محمد وآله**"[15] أما في الوسط فكان ختم الأمير الدائري الشكل حيث لا يظهر ما كتب في وسطه، كما أنّها لم تحتوي على التاريخ الذي كتبت فيه. بالإضافة لذلك جاءت كتابة على الهامش في اليمين غير مقروءة.

محتوى الرسالة يبدأ **" من أمير المؤمنين بالنواحي الوهرانية والجزائرية وسار معا إلى طاعة تونس-مولانا السيد الحاج عبد القادر ابن مولانا السيد الحاج محي الدين نصره الله أمين.**"[16] بداية يظهر من مقدمة الرسالة أنّ الأمير عبد القادر يصرح لأول مرة بنفوذه الإقليمي الذي تعدى ما اتفق عليه مع الفرنسيين في معاهدة دي ميشال، وهو أمر يدعو إلى استنتاج أن الأمير كان ينظر لنفسه الممثل الشرعي في الجزائر وأنّ سلطته تتعدى سلطات الفرنسيين، والمعاهدة ما هي إلا خيار استراتيجي ظرفي أملاه الواقع، زيادة على ذلك يظهر تحديد نفوذه في الجهة الشرقية لغاية تونس أنّه لم يكن يعترف بسلطة أحمد باي الذي كان لا يزال لغاية تلك السنة بايا على قسنطينة، وهو تصريح يظهر مشروع دولته الوطنية كاملة

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707
مجلد 25 العدد 02 ديسمبر 2024 ص-ص 288-311

الحدود من الغرب إلى الشرق، لكن يجب الوقوف على ملاحظة مهمة هنا وهي أنّ الأمير تحاشى ذكر المغرب عندما أشار للحدود من ناحية الغرب حيث أبقاها مبهمة وعبر عليها بالنواحي الوهرانية ما يدل على أنّ الأمير كان يخاطب سلطان المغرب بطريقة دبلومساية وهو الذي كان من أكبر داعميه في تلك المرحلة.

بعدها يكمل رسالته قائلا" **إلى عظيم الجيوش الإنجليزية سيدهم الأكبر ورئيس ملوكهم الأغر. السلام على من اتبع رضى الحي وبعد**"[17] بعد ذكره لشخص ملك بريطانيا وهو وليام الرابع(1830م-1837م) حتى وإن لم يسمه بإسمه، بدأ عبد القادر يشرح تفاصيل المعاهدة التي عقدها مع الفرنسيين وهي دي ميشال قائلا" **فإنه كنا تعاقدنا مع كبير الفرنصيص على الصلح والمصادقة وتعاقدنا بمواثيق على شروط اشترطناها وقبلوها وأمور اشترطوها فقبلناها وحصلت أمن الطرق والأسواق بيننا وبينهم**..."[18]. يبدو أنّ الأمير بيّن لملك بريطانيا أنّ الحرب بينه وبين الفرنسيين توقفت عن طريق معاهدة رتبت الأمور السياسية والمتمثلة في الأمن وهو ضرورة كان الفرنسيون يطالبون به، ثم الجانب الإقتصادي الذي دفع الفرنسيين لهذه المعاهدة خاصة الحصار الذي كان الأمير قد ضربه عليهم في وهران، فأصبحت السلع الرئيسية كالقمح والشعير والمواشي التي تدعم الحامية الفرنسية في وهران متاحة، لكن ما يدفعنا للتوقف عنده هو هل كانت بريطانيا تجهل بمعاهدة فرنسا مع الأمير؟ ومقاومة الأمير للفرنسيين؟ ربما الأمر مستبعد خاصة وأنّ بريطانيا كانت تراقب مشاريع فرنسا في الجزائر عن كثب على الرغم من عدم معارضتها لها ظاهريا، هذا من جهة ومن جهة أخرى كان الأمير يعرف أنّ بريطانيا تعلم بكل ما يجري بالجزائر عن طريق مخبريها وهذا بدليل ما قاله في هذه الرسالة"...**وكان من أمره ما بلغكم**..."[19]. كذلك لماذا تعمد الأمير تذكير ملك

بريطانيا بهذه المعاهدة؟ ربما الإجابة تكمن في أنّ الأمير تعمد ذكر المعاهدة لكي يظهر نفسه بأنه هيئة شرعية سياسية تبرم المعاهدات مثل الدولة، فهذا الأسلوب يبين دبلوماسية الأمير في بداياته.

يضيف قائلا "...**وتفاهمنا في قضاء المصالح منّا ومنهم وبقينا على ذلك لمدة عام ثم شرعوا في الخداع والغدر ونقض العهود مرة بعد مرة ...وما قررنا نجتازها ولا نخلص عقودنا إلى أن جمعوا جيوشهم وقوة حربهم وقونصهم عندنا ووكيلنا عندهم وجيشونا متفرقة** ..."[20] هنا حاول الأمير أن يظهر الحيثيات الكبرى لمشروع السلام الفرنسي الجزائري وكيف نقض الفرنسيون ذلك على الرغم من محاولة الأمير التغاضي على انتهاكاتهم، بعدها يظهر كيف حضّر الفرنسيون حملتهم ضده وهو يقصد معركة المقطع في جوان 1835م على الرغم من اعترافه أنّ جيشه كان متفرقا في البلاد، وهو لا يقصد الجيش النظامي الخاص به بل فرسان القبيلة، إذ كان أولئك المقاتلون بمثابة جيش إحتياطي يستدعيه الأمير عند الضرورة، بعدها يخبره بالنتيجة التي آلت إليها تلك المواجهة فيقول" ..**فنصرنا الله عليه وكان من أمره ما بلغكم**..."[21]. من خلال كل هذا استعرض الأمير ثلاثة محطات دبلوماسية، بدأها أولا بسلطته الشرعية كأمير له إقليم يحكمه ثم بيّن أنّه سلطة لها أهلية لإبرام معاهدة مع دولة مثله، لينهي حديثه بقوته العسكرية التي تغلبت على الجيش الفرنسي، فكل هذا حاول الأمير من خلاله إعطاء صورة متكاملة عن رجل سياسي يستحق أن تدخل بريطانيا معه في علاقات دبلوماسية.

بعدها ينتقل الأمير إلى عرض إتفاق تجاري يكون بموجبه مزايا تجارية تستفيد منها بريطانيا "... **فان أردتم المصلحة العامة وتكون لكم المودة زيادة على الفرنصيص نتفق معكم على التسوق بأي مرسى أردتم من مراسي الجزاير** ..."[22] هذا الإمتياز تمثل في حرية إستغلال الموانئ، لكن ما يظهر من كلام الأمير أنّه لم يحدد جهة الميناء، خاصة وأنّ الميناء الوحيد الذي كان يستغله هو أرزيو، لهذا

مجلة الدراسات التاريخية
E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707
مجلد 25 العدد 02 ديسمبر 2024 ص-ص 288-311

إطلاقه الكلام على العموم على موانئ الجزائر جاء أيضا ليعزز فكرة سيطرته على الساحل الجزائري في نظر البريطانيين، لكنها في الواقع غير صحيحة، فالفرنسيون كانوا يعرفون أهمية الموانئ في تواصل الأمير مع العالم لهذا كانوا حريصين أن لا يسيطر على المنافذ البحرية ماعدا أرزيو. بعدها يضيف إمتياز تجاري آخر فيقول" ... **وإنّا ملتزمون لكم من جانب البر بما تريدونه**..."[23] فهو يقصد أنّ كل السلع التجارية يمكن توريدها عن طريق البر أي على الجهة الغربية للجزائر عن طريق المغرب خاصة وأنّه تعمد ذكر سلطة عبد الرحمن ملك المغرب عندما قال" ... **إلى طاعة مولانا أمير المومنين عبد الرحمن حفظه الله**..."[24]. فما يمكن بناءه من فكرة عن عروض الأمير التجارية على البريطانيين هو معرفته بأهمية العامل التجاري في تسيير العلاقات الدبلوماسية في تلك الفترة، وأنّ بريطانيا كانت حريصة على مصالحها التجارية في غرب المتوسط خاصة بعد إحتلال فرنسا للجزائر، لهذا راهن الأمير على الإغراءات التجارية لربط علاقات دبلوماسية ببريطانيا في تلك الفترة المبكرة.

يختم رسالته بشرط لكي تكون تلك الامتيازات لصالح بريطانيا، فيقول:" ...**إذا لم نسمع عنكم خدعة ونرجو أن تكون لك مزية بنا ورفعة على ساير الجنوس وتردّ الجواب**. "[25] هذه الفقرة الأخيرة بينت أنّ الأمير على الرغم من مشروعه الطموح في بناء علاقة دبلوماسية مع بريطانيا، إلا أنّ نقص الخبرة في التعامل مع القوى الكبرى في تلك الفترة ظهر في جملته التي خاطب بها ملك بريطانيا عندما قال :" **إذا لم نسمع عنكم خدعة**..."[26] فالأعراف الدبلوماسية كانت تقضي بعدم التصريح بنوايا الطرف الآخر وتغليب النوايا الحسنة، لكن رغم ذلك يبقى مشروعه الدبلوماسي غاية في النضج السياسي على المستوى الدولي.

ب/ رسالته إلى قنصل بريطانيا (سبتمبر 1835م) : يمكن وصف الشكل الخارجي للرسالة بأنّها لم تختلف على الرسالة الأولى، حيث كتب في الأعلى في الجهة اليمنى " **الحمد لله وحده**"[27]أما في الجهة اليسرى في الأعلى فكتب " **صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله**"[28]. وعكس الرسالة الأولى فإنّ هذه الرسالة دُوّن فيها تاريخ كتابتها والذي كان في 29 جمادى 1251م وهو ما يوافق سبتمبر 1835م. لكن ما يمكن استنتاجه من حيثيات المحتوى أنّ كلتا الرسالتين كانتا في وقت واحد. أما من ناحية الخط الذي كتبت به فهو مقروء مقارنة بالرسالة الأولى، وهو ما يبين أن الأمير كان له مجموعة من الكتّاب منهم من يكتب لزعماء القبائل ومنهم من يكتب للفرنسيين ومنهم من يكتب للإنجليز.

تبدأ الرسالة بـ" **من أمير المومنين سلطان النواحي الجزايرية والوهرانية والتلمسانية إلى طاعة افريقية**"[29]وهو يقصد تونس، فقد استعمل اسمها القديم عندما كانت تسمى إفريقية، كذلك استعمل لفظ "طاعة" وهو يدل على الحدّ الجغرافي الذي تنتهي إليه سلطته، وليس معنى الإنصياع. وهو يؤكد كذلك للقنصل الحدود الشرقية لدولته التي تنتهي لغاية تونس، ويتجاهل عن قصد سلطة أحمد باي على بايلك الشرق. بعدها يكمل قائلا:" **مولانا السيد الحاج عبد القادر بن مولانا السيد الحاج محي الدين نصره الله أمين إلى قونصو الانجليز القاطن بتطوان السلام على من اتبع الحق ورحمة الله وبعد...**"[30] في هذه الرسالة يعيد الأمير ذكر نفس الأحداث والمقترحات التي ذكرها في رسالته الأولى لملك بريطانيا بدءا بالمعاهدة الجزائرية الفرنسية (دي ميشال)" **أنّا كنّا تعاقدنا مع جنس الفرنصيص عقدا وثيقا وتعاهدنا في الصلح والمهادنة على شروط منا ومنهم...**"[31] لكن الشيء المختلف في هذه الرسالة أنّ الأمير أخبر القنصل البريطاني عن غارة الفرنسيين على حقول القمح "**وخرجوا لبرنا غير مظهرين الشر...حيث شرع في نهب الحب وعلمنا منه قصد الشر...** "[32] وهو ما نجده يتوافق مع ما ذكره هنري تشرشل في أسباب معركة المقطع عندما قال:" ...أغار الفرسان

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707
مجلد 25 العدد 02 ديسمبر 2024 ص-ص 288-311

الفرنسيون الذين كان ينقصهم الشعير على مزارع بني هاشم الغرابة..."[33] . بعدها استعرض الأمير نتائج المعركة التي كانت لصالحه ثم انتقل إلى الأسباب التي دفعته إلى التواصل مع البريطانيين حيث قال: " **ولما سمعنا أن جنسكم من بيوت الملوك وأن كلمة ريكم وافية وأنه لا غدر فيه ولا خداع بعد العقد والميثاق فبعثنا لك مكتوبا** .."[34] هذا الإطراء من جانب الأمير كان لغة دبلوماسية استعملها الأمير عن قصد كي يظهر رفعة البريطانيين عن الفرنسيين، بعدها يعرض بعض الإمتيازات التجارية التي عرضها في الرسالة الأولى فيقول: " **أذا أردتم المزية الظاهرة التي تفوزون بها على كل الجنوس وتمتازون عن غيركم تلاقوننا في أي مرسى تريدونها من مراسي الجزاير إلى طاعة مولانا أمير المومنين مولانا عبد الرحمن نصره الله ونلتزم لكم من جانب البر أفضل ما التزمناه قبل الفرنصيص ونتزلكم في منزلة أعلى من منزلهم لكونهم خادعين وانتم لم تبلغنا عنكم خدعة..."**[35] . لعل الملاحظ هنا طلب الأمير ملاقاة القنصل البريطاني في أحد موانئ الجزائر يختاره القنصل شريطة أن يكون داخل الحدّ الجغرافي للجزائر وهو الأمر الذي نبّه له عندما قال: " **إلى طاعة مولانا أمير المومنين مولانا عبد الرحمن**"[36] وهو يقصد لغاية الحدّ الذي تبدأ فيه سلطة ملك المغرب. هنالك خطأ أشار له دانزيغر في معرض حديثه عن جزئية ملاقاة الأمير مع القنصل أنّ الحكومة البريطانية فهمت خطأً أنّ الأمير يريد ملاقاة ملك بريطانيا في أحد موانئ الجزائر!، وقد أوعزه دانزيغر إلى المترجم الذي ارتكب خطأ فادحا في ترجمة النص من العربية الإنجليزية ولم يفهم قصد الأمير. بعد أن أشار الأمير إلى الامتيازات التي سيجنيها البريطانيون لو دخلوا معه في علاقات رسمية، طلب من القنصل أن يستوصي بمبعوثه خيرا وأن يساعده في قضاء بعض المصالح " **وها هو صاحبنا رجل كيس فاضل ذو**

سياسة وعقل يصلكم بالمكتوبين فاستوصي به وجُد له في قضاء ما يريده من مصالحنا وتكون لك حرمة كبيرة بسبب معرفتكم معنا..."[37] . بعدها يطلب من القنصل الجواب " **وتعزم بالبحث على ردّ الجواب من عندك ومن عند الذي وفى 29 جمادى من 1251 بأمر مولانا أمير المومنين نصره الله أمين "**[38] . هذه الرسالة التي كتبت قبل سقوط معسكر في ديسمبر وبعد معركة المقطع بثلاثة أشهر تظهر التحركات الدبلوماسية المتسارعة للأمير لإيجاد قوة تسانده ضد الفرنسيين، لكن ذلك لم يمنعه أيضا من التواصل مع الأمريكيين، وهو ما أشار له دانزينغر لأول مرة عندما كلف الأمير مبعوثه بأن يعطي رسالة إلى القنصل الأمريكي في طنجة جيمس ر. ليب. والذي كان بجبل طارق وهذا في أفريل 1836م[39] .

4. كيف ردَّ البريطانيون على مشروع الأمير الدبلوماسي؟

إنّ الموقف البريطاني من عرض الأمير لإقامة علاقة معه لا يمكن فهمه إلاّ من خلال التقرير الذي ذكره دانزيغر، وهو أنّ القنصل البريطاني دراموند هاي صرّح لمبعوث الأمير بن قلة أنّه مجرد وسيط فقط، وليس له الحق في عقد المعاهدات بين بريطانيا وجهة معنوية، لهذا سلم إيصالا لمبعوث الأمير على أنّه تسلم رسائله، بعدها ترجم القنصل الرسائل إلى العربية مستعينا بولده جون الذي سيخلفه في منصب القنصل بعد سنوات، وقد تحاشى القنصل أن يستعين بمترجم مغربي مخافة أن يُشيع السرّ. بعد أن راسل القنصل وزير المستعمرات غلينيلج شرح له أنّ فكرته في إرسال الإيصال كانت كي لا يهين عبد القادر، ومن ناحية أخرى ضمان عدم إتهام الفرنسيين له بتهمه مراسلات معادية مع عبد القادر في حال وقوع الرسالة في أيديهم[40].

أصدر غلينيلج تعليماته إلى دروموند هاي بتوجيه ردّ إلى عبد القادر بدلاً من نقل إجابة رسمية من الحكومة. وكانت تعليمات غلينيلج فيما يتعلق بمحتوى رد دروموند هاي نتيجة ترجمة خاطئة في لندن لرسالة عبد القادر إلى الملك. لأسباب

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

غير معروفة تجاهلت الحكومة البريطانية رسالة عبد القادر المترجمة بشكل صحيح إلى دراموند هاي[41]. بعدها كان على القنصل إبلاغ عبد القادر بأن "شؤون مملكة جلالة الملك لا تترك أوقات فراغ لجلالة الملك للإجابة على طلب الزعماء"، وكان هذا الردّ الذي يبدو مهينا للأمير بسبب عمل المترجم[42] في لندن والذي شوّه ترجمة الرسالة الأصلية وجعلت بريطانيا تفهم أنّه من السخيف أن يجتمع الأمير وملك بريطانيا في ميناء جزائري!، بدلاً من عرض التجارة في الميناء. بعد كل هذا كتب رسالة قصيرة إلى عبد القادر في 30 مارس 1836م جاء فيها أن أي مرافعة له في لندن ستكون غير مجدية. وانقطع التواصل مع الأمير لغاية 1840م[43].

ربما السؤال الذي يطرح هو ماذا لو تمّ ترجمة رسالة الأمير إلى ملك بريطانيا بشكل صحيح واستجاب لعرضه هل كانت نتيجة الحرب بعد 1836م ستتغير؟ أو هل سيظهر حليف جديد للأمير وتتغير الإستراتيجية الفرنسية ضد الأمير ولن تكون هنالك معاهدة تافنة1837م؟. ما الذي يمكن تصوره لو قبلت بريطانيا بفتح قنوات دبلوماسية مع الأمير في تلك الفترة المبكرة أنّ الوضع لن يتيغر، لأنّ بريطانيا لم يكن يهمها البحر المتوسط باعتباره "مياه فقيرة وراكدة"[44]، خاصة وأنّها كانت تسيطر على منفذه الوحيد في تلك الفترة وهو مضيق جبل طارق، إضافة إلى أن إهتمامها كان مركزا على الطرق البحرية التجارية إلى الهند هذا من الناحية التجارية، أما من ناحية تقوية خصم فرنسا الأمير عبد القادر فلم يكن من مصلحتها دعمه بشكل يسمح له بالتفوق وإقامة مشروع الدولة الذي كان يتصوره، لأنّه ليس في صالحها أن يكون مشروعه ناجحا في شمال إفريقيا وهي الإمبراطورية التي كانت تعمل في تلك الفترة على صناعة السياسة العالمية وفق

الإمبريالية الرأسمالية، فبقاء فرنسا في الجزائر أرحم من دولة الأمير التي هي في النهاية مشروع تحرري يتنافى مع المشروع البريطاني الإستعماري العالمي.

لكن هذا لم يمنعها من غضّ الطرف أحيانا عن الأمير وتسهيل له التزود بالأسلحة والذخيرة من موانئ المغرب، لكن مع اقتراب نهاية الأمير نلحظ كيف عمل القنصل البريطاني جون دراموند هاي الإبن على اقناع سلطان المغرب مولاي عبد الرحمن على ضرورة الرضوخ لمطلب الفرنسيين عندما طالبوا المغرب بقطع علاقاتها مع الأمير،حيث صرح جون دراموند هاي الإبن بذلك في مذكراته قائلا: "...تم تقديم النصيحة دون توقف إلى الحكومة المغربية من قبل والدي ومن قبلي لاحقًا، بأنّه يجب عليهم عدم إجراء أي اتصال مع عبد القادر أو أتباعه، ويجب أن يعارضوا جعل بلاد الريف قاعدة للعداء وللعمليات ضد الفرنسيين عند طرده من الجزائر."[45] كل هذا يثبت التوجه السياسي لبريطانيا في تسيير الصراعات في شمال إفريقيا في تلك الفترة لصالح الفرنسيين الحلفاء.

5.الخاتمة:

تعيد الرسائل الموجهة من الأمير إلى بريطانيا في فترة مبكرة من الاحتلال الفرنسي رسم صورة جديدة للأمير الدبلوماسي الذي كان يعي جيدا الوضع العالمي وأنّه لم يكن زعيما محليا بل رجل دولة حاول بذكائه كسب بريطانيا عن طريق الإغراءات التجارية، ولعل ما يمكن استنتاجه من خلال عرض هذه الرسالتين:

-مثلت رسائل الأمير الموجهة إلى بريطانيا زاوية جديدة من العلاقات الدبلوماسية المخفية في مشروع الأمير في فترة كانت فيها المقاومة في بداياتها ضد الفرنسيين.

-كان الأمير ينظر لنفسه السلطة الوحيدة الممثلة للجزائريين، خاصة عندما ألغى سلطة أحمد باي على بايلك الشرق وحدد المجال الجغرافي لسلطته لغاية تونس.

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707
مجلد 25 العدد 02 ديسمبر 2024 ص-ص 288-311

-إستعمل الأمير الإمتيازات التجارية لفتح علاقات مبكرة مع البريطانيين كتسهيل إستغلال الموانئ الجزائرية وتوريد السلع عن طريق البرّ، على الرغم من أنّ الساحل لم يكن تحت سلطته، لكن ذلك يظهر أن الأمير كان يفهم عقلية بريطانيا بأنها إمبراطورية تجارية لهذا لعب على وتر التجارة.

- حاول الأمير من خلال تلك الرسائل أن يعطي للبريطانيين صورة شاملة عن الوضع الداخلي للجزائر بدءا بالمعاهدة وأسباب نقضها ونتائجها على الفرنسيين، وكل هذا ليُظهر نفسه قوة إقليمية من الممكن أن تدخل بريطانيا معه في علاقات دبلوماسية.

-لم يكن توقيت الرسائل عبثيا بل جاء بعدما وصلت الأمير أخبار عن بداية حملة عسكرية ضد عاصمته معسكر، لهذا كان يريد من خلال ذلك أن يوازن قوة ضغط الفرنسيين بالبريطانيين إذا هم قبلوا عرضه وهو ما يسمى بسياسة توازن القوى.

-أيضا ما يظهر من خلال الرسائل أنّ الأمير كان يحافظ على رمزية سلطة سلطان المغرب مولاي عبد الرحمن، بإعتباره الحليف الرئيس له في تلك المرحلة وأنّه تعمد ذكره في الرسالتين بإعتبار أنّ القنصل دراموند هاي كان داخل المجال المغربي ويعد من مستشاري السلطان المغربي.

-إن بقاء التواصل بين الأمير وبريطانيا سريا في الفترة المبكرة من مقاومته، يدلّ بما لا يدع مجال للشك تفوقه الاستخباراتي على الفرنسيين على الرغم من قوتهم كإمبراطورية استعمارية، ما يعيد بناء تصور جديد حول شخصية الأمير السياسية وبراعته أيضا في إختيار مبعوثيه، إذ تمثل شخصية بن قلة الدبلوماسي السري الذي لا نعرف عنه شيء إلى اليوم دليل على ذلك.

-كانت الترجمة السيئة لرسائل الأمير إحدى أهم أسباب عدم الوصول لإتفاق بينه وبين بريطانيا، وهو ما يبين قيمة الترجمان الدبلوماسي في رسم العلاقات الدولية وأنّه يمكن لبعض الأخطاء أن تقلب سياسات عالمية.

-إن رسائل الأمير إلى بريطانيا تكشف لنا وجها جديدا من العلاقات الدبلوماسية الذي كان مخفيا لغاية سبعينيات القرن الماضي، فالأرشيف الوطني البريطاني لا يزال يحتفظ بوثائق تاريخية قيمة عن مقاومة الأمير تحتاج إلى قراءة ونقد لفهم ورسم العلاقة بين الأمير وبريطانيا وتأثيرها على سير مشروع الأمير السياسي في مراحله المبكرة.

5. قائمة المراجع:

-هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر،1974م.

-عبد الجليل التميمي،بحوث ووثائق في التاريخ المغربي 1816-1871م، الدار التونسية للنشر،1972م،ط01.

-Danziger Raphaël. Abd Al-Qadir's first overtures to the British and the Americans (1835-1836). Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, n°18, 1974. pp. 45-63.

-Thomas Campbell. Lettres frome the South, LONDON : HENRY COLBURN, PUBLISHER, VOL2.1837.

مجلد 25 العدد 02 ديسمبر2024 ص-ص 288-311
E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

-Hobsbawm, E.J. The General Crisis of the European Economy in the 17th Century', Past and Present, 5.
-JOHN DRUMMOND -HAYA .Memoir of Sir John Hay Drummond Hay: Sometime Minister at the Court of Morocco based on His Journals and Correspondence. LONDON JOHN MURRAY ALBEMARLE STREET 1896.
-national archive uk. www.nationalarchives.gov.uk

6. الملاحق:

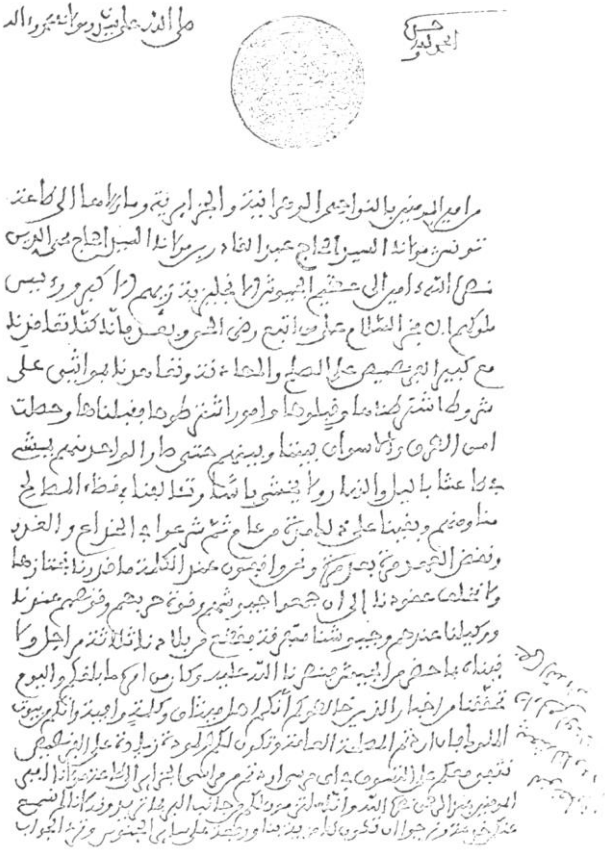

ملحق رقم01: رسالة الأمير عبد القادر إلى ملك بريطانيا (F.O. 52/40)

مجلة الدراسات التاريخية

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

مجلد 25 العدد 02 ديسمبر 2024 ص-ص 288-311

الحمد لله وحده صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

من امير المومنين سلطان النواحي الجزايرية والوهرانية والتلمسانية،
الى طاعة افريقية: مراد الشيد الحاج عبد القادر بن مولانا السيد الحاج محي
الدين نصره الله امين الى فوضوه لا تجليز الخاطر بتيطوان التسلام
على من اتبع الهدى ورحمة الله وبعد ملا يخفى عليك اتنا اخذنا تعاقدنا
مع جنس البرتغيز عقدا وثيقا وتعاهدنا على الصلح والصيادة على
شروط منّا وضمم و وبينا لهم جميع ما اشترطوه من مسوافهم و
بثينا على قام الكلمة خمس سنة ثم ابتدوا التخليط والتبليس و
الخدعة فعادوا مرارا بنقض الميثاق ولم تختلف خليتنا معهم في
شيء الى ان ادى بهم عماهم وطغيانهم لجمع جيوشهم وقصد
حربهم وخرجوا البر فاغير مظهرين الشر وخيلنا عندهم وفرسهم
عندنا وجيوشنا مترقبة حيث قرع في قلوبهم الرعب وعلمنا منه
قصد الشر فرجنا اللغايه بما حضر من جنودنا وافنياء بنصر الله
عليه وحاربه ما بلغك من الخذلان والذل والقتل الذي لحقه
من الغدر والمخادعة ولان سمحنا ان جنتكم من بيوت المولد
وان كلمة ربكم واجبة وانه لا غدر فيه ولا خداع بعد العفو والثقاء
فبعثنا لك مكتوبا قرسلة له كتبة مكتوبك والقايا في
الجواب فبعثه اذا رضيت ما في المكتوب احكم اذا اردتم
الزيدة الظاهرة التي تجوز بها على كل الجنوس من قتلوه
من غيركم قتلة فنا واي مرتبي تريد ونحا من مراضي

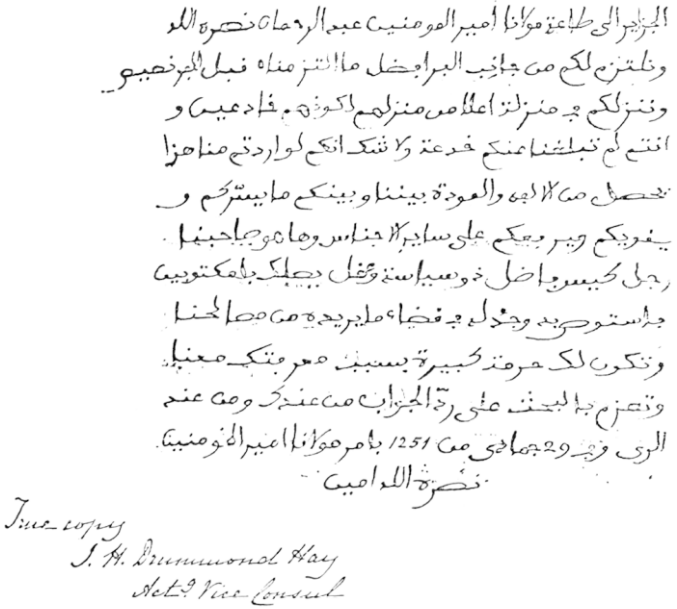

الجزائر الى طاعة مولانا أمير المومنين عبد الرحمان نصره الله
ونلتزم لكم من جانب البر افضل ما التزمناه قبل الوقت فيه
وننزلكم في منزلة اعلا من منزلهم لكونهم اعادمين و
انتم لم تبلغنا منكم خدعة ولا شك انكم لو اردتم منا هذا
نحصل من الاتحاد والمودة بيننا وبينكم ما يسركم و
يغيظكم ويرعبكم على سائر الاجناس وهاهو جانبنا
رجل كبير واصل ذو سياسة وعقل يصلح لمكتوبية
واستوصوا به وجعله في قضاء ما يريده من مصالحنا
وتكون لكم عرفة كبيرة بسبب عمرته معنا
وتعزم في البحث على رد الجواب من عندكم وعن عنم
الرى فيه وجماذى من 1251 بامر مولانا امير المومنين
نصره الله امين

True copy
J. H. Drummond Hay
Actg Vice Consul

ملحق رقم02: رسالة الأمير عبد القادر إلى قنصل بريطانيا بطنجة (F.O. 52/40

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707
مجلد 25 العدد 02 ديسمبر 2024 ص-ص 288-311

7. الهوامش:

*ذكر عبد الجليل التميمي إعتمادا على رسالة وجدها بالأرشيف البريطاني أن الأمير عبد القادر تواصل مع بريطانيا عن طريق ابن قنصل بريطانيا ببنزرت التاجر نيكولاس مانوشي. للمزيد حول تفاصيل الرسالة أنظر: عبد الجليل التميمي،بحوث ووثائق في التاريخ المغربي 1816-1871م، الدار التونسية للنشر،1972م،ط01،ص200.

1- رافاييل دانزينغر أستاذ وباحث أمريكي، حاصل على دكتوراه من جامعة برينستون. كانت أطروحته حول الأمير عبد القادر بعنوان" الأمير عبد القادر والجزائريين" . يعتبر من المناصرين لسياسة إسرائيل في الشرق الأوسط. نشر كتبًا والعديد من المقالات حول الشرق الأوسط وشمال إفريقيا. حاليا كبير مستشاري الأبحاث في إدارة الشؤون الحكومية والسياسة في AIPAC أكبر جمعية ضغط يهودية في الولايات المتحدة.

2- Danziger Raphaël. Abd Al-Qadir's first overtures to the British and the Americans (1835-1836). Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, n°18, 1974. pp. 45-63.

3-إعتمدت في هاته الدراسة على هاتين الوثيقتين على الرغم من أنها نسخ عن الأصل الموجود في الأرشيف البريطاني، والذي راسلته لطلب نسخة منها لكن لكثرة الطلبات المقدمة للحصول على الوثائق الأرشيفية أُجل طلبي، لهذا آثرت الإعتماد على النسخ التي ذكرها رافييل دانزينغر. لكن كنت قد تأكدت من وجودها في الأرشيف البريطاني اعتمادا على رقمها المرجعي وقد وجدتها مفهرسة كما ذكرها الباحث رافييل دانزينغر.

4-Thomas Campbell. Lettres frome the South, LONDON : HENRY COLBURN, PUBLISHER, VOL2.1837.p196.

5- هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر،1974م، ص101.

6- بعد البحث لم أقف على هاته الشخصية لكن لقب بن قلة منشر في منطقة مستغانم وينتسب إليه أحد الخارجين عن سلطة الفرنسيين خلال أربعينيات القرن العشرين ويعد من أوائل من وقف في وجه المستعمر قبل الثورة.

7- في مذكرات إبن القنصل دراموند هاي وهو جون تحاشى فيها ذكر هذه الإتصالات على الرغم من أنّه كان المترجم لتلك الرسائل لأبيه القنصل.

8- Danziger Raphaël. Abd Al-Qadir's first overtures to the British and the Americans (1835-1836).p47.

9- ذكر رافاييل دانزيغر أن جميع التفاصيل حول مهمة بن قلة إلى القنصل البريطاني في طنجة واردة في تقرير القنصل السري إلى وزير المستعمرات غلينيلج بتاريخ 13 يناير 1836 م.

10- لعل الأمر الغريب هنا هو أنّ الأمير عبد القادر لم يخبر هنري تشرشل بتفاصيل تواصله مع بريطانيا عندما كان يدون حياته وهو في الشام، وهو ما يدعو لطرح استفهام ؟.

11- Danziger Raphaël. Abd Al-Qadir's first overtures to the British and the Americans.p49.

12- Ibid.p49.

13- Ibid.p49.

14- F.O. 52/40.

15- F.O. 52/40.

16- F.O. 52/40.

17- F.O. 52/40.

18- F.O. 52/40.

19- F.O. 52/40.

20- F.O. 52/40.

21- F.O. 52/40.

22- F.O. 52/40.

23- F.O. 52/40.

24- F.O. 52/40.

25- F.O. 52/40.

26- F.O. 52/40.

27- F.O. 52/40.

28- F.O. 52/40.

29- F.O. 52/40.

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

30- F.O. 52/40.

31- F.O. 52/40.

32- F.O. 52/40.

33- هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، مرجع سابق، ص 96.

34- F.O. 52/40.

35- F.O. 52/40.

36- F.O. 52/40.

37- F.O. 52/40.

38- F.O. 52/40.

39- Danziger Raphaël. Abd Al-Qadir's first overtures to the British and the Americans.p.51.

40- Ibid.p49.

41- Ibid.p49.

42- يجب الوقوف عند شخصية المترجم الذي كان مكلفا بالترجمة في لندن، وقد ورد اسمه في النسخة الانجليزية المترجمة وهو أبو سلامي، ولا نعرف لماذا لم يترجم الرسالة بشكل صحيح ؟ ولعل الإحتمال الصحيح هو صعوبة فهمها، فالرسالة كما أشرت سابقا كتبت بخط مغربي أو خط الطُلبَة كما نسميه، وهو خط لا يفهمه إلا من تعلم به، لهذا عند معاينتي للرسالة استنتجت أنّ المترجم وجد صعوبة في فهم العبارات فترجمها حسب ما فهمها، وقد تحمل في النهاية الأمير نتيجة تلك الترجمة الخاطئة.

43- Danziger Raphaël. Abd Al-Qadir's first overtures to the British and the Americans.p49.

44- Hobsbawm, E.J. The General Crisis of the European Economy in the 17th Century', Past and Present, 5, pp. 33-53.

45- JOHN DRUMMOND -HAYA .Memoir of Sir John Hay Drummond Hay: Sometime Minister at the Court of Morocco based on His Journals and Correspondence. LONDON JOHN MURRAY ALBEMARLE STREET 1896. P73.